

## مقال عن المجهل

للدكتور حامد طاهر

---

ما زلت أتذكر ذلك المقال الذى سبق أن نشره

الكاتب الكبير أحمد حسن الزيات

فى مجلة الرسالة بتاريخ (23أكتوبر 1939)

عن المجهل والمفقر والمريض

باعتبارها عوامل النخر الثلاثة

التي تهدد كيان الأمم ،

وتخلق روح المجتمعات .

وقد قرأته فى نهاية المستينات

وما زال عالقا بذهنى حتى اليوم

---

وعلى الرغم من تباعد الزمن

وكثرة الشواغل والتجارب والمشاهدات ،

فما زلت مقتنعا بأن ثالوث :

الجهل والفقر والمرض

هو الذى يمثل أعتى التحديات

أمام أى حكومة ، وفى وجه أى إصلاح .

---

لكننى حين أتأمل فى عناصر هذا الثالوث

أجد أنه يشبه قاطرة يمثل رأسها : الجهل ،

وتمثل العربيتان المسحوبتان خلفها

كلا من :المفقر ، والمرض .

فلا شك أن الجهل

هو الذى يعمى العقل

عن تدبر أمر الثروة ،

وكيفية استخراجها واستثمارها ،

ولهذا يسود الفقر

الذى يرتبط بالعود والتكاسل

والاكتفاء بأقل القليل ،

أما المرض الناتج عما سبق

فهو الذى يأتى على صحة الأفراد فيضعفها

وعلى نشاطهم فيخدمه

وعلى حركتهم فيصيبها بالشلل التام.

---

فما هو الجهل ؟

إنه حالة سلبية أو عدمية

يسقط فيها العقل فلا يعلم ،

ولما يتطلع للعلم .

وإذا كان العلم يتطلب جهدا بشريا ومشقة

فإن الجهل يتمرغ في الراحة

وهو عبارة عن انتكاس ذهني يركن للتقليد ،

ويرفض المبادرة ، ويستعصى على التغيير ،

كما يأبى التطور والتجديد .

---

والواقع أننا إذا حاولنا تقسيم العالم

إلى دول متقدمة ، ودول متخلفة

أو كما نسميها على سبيل الإشفاق : نامية

فإن المزارق الأساسى بينهما

يكمن فى اختيار طريق العلم ،

وكسر قيود الجهل .

ولما يتعلل أحد بأن المتخلف يرجع

إلى عوامل خارجية كالطقس أو البيئة ..

فإن كثيرا من الدول المتقدمة

تعيش فى طقس قاس ، وبيئة أشد قسوة

وبالرغم من ذلك

استطاعت أن تتغلب عليهما بالعلم وتطبيقاته

(سويسرا بيئة جليدية شديدة الدويرة

ومع ذلك تقدمت في صناعة الساعات وإدارة البنوك)

(واليابان لنا توجد في أرضها مواد أولية

ومع ذلك فإنها تستوردها من كل بلاد العالم

ثم تقوم بتصنعها بأعلى المواصفات وتعيد تصديرها).

---

والسؤال الآن : هل يمكن التغلب على الجهل ؟

أجل ، وبكل تأكيد .

وهو ليس مستحيلا ، لكنه صعب

كيف ؟

المبدئية بضرورة محو الأمية ،

ثم دفع الشباب إلى استخدام لغة العصر

ووسائله الحديثة ،

ونشر الثقافة العلمية في كل ربوع البلاد

واكتساح كل مظاهر الجهل ،

وأسيابه المستقرة منذ مئات السنين :

(كانت جداتنا يعالجن ألم عيون الأطفال

بمسحوق أبيض حارق يسمى : الشيشم

وكثيرا ما أصاب هؤلاء الأطفال المساكين بالعمى

ومن أشهرهم : طه حسين ..

وما زلنا نشاهد في الأحياء الشعبية

إقامة حفلات المزار للنساء

اللاتى يشعرون باضطرابات نفسية ،

بدلا من معالجتهم لدى طبيب نفسى ..

وما زالت مدارسنا وجامعاتنا

تختبر قدرة الطلبة على التحصيل بالمحفظ ،

وليس بالمهارة اليدوية وحسن التصرف ..

وما زال الفلاح المصرى يشغّل الحيوانات فى الحقل

بدلا من الآلات المزارعية ..

وما زلنا نهدر الوقت فيما لا يفيد ،

ولما نحترم مواعيدنا ..

وما زلنا نتكلم كثيرا ولما نعمل إلّا قليلا..

تلك فقط بعض مظاهر الجهل ،

ذكرتها عفو الخاطر

لكنني أؤكد أن للجهل جيوشا

أشد شراسة من جيوش الأعداء

ولذلك ينبغي التصدي لها بكل قوة وعزيمة

وأما نترك للعلم بابا لما طرقتاه ،

ولما للمبادرات الناجحة تجربة لما خضناها

وأن ننظر بكل التقدير والاحترام

لكل من يضيف إلى حياتنا شيئا جديدا

أو يمنع عنها هواء فاسدا

والخلاصة أن قاطرة الجهل لو تم رفعها

لتوقفت العربيتان اللتان تجرهما

وهما : الفقير والمريض .

---

بعض ما قالته الشعوب عن الجهل :

كل ما نجهله نعتبره من الأعاجيب — مثل لاتيني

الذى يعيش فى المجحيم (الجهل)

لا يعلم أن السماء موجودة — مثل إنجليزى

الذى يجهل أن سريره خشن

ينام جيدا .. — مثل دنمركى

الجهل يشيخ مثل الثور :

فتكثر دهونه ، ويضمّر عقله — سنسكريتى

لا يوجد أفقر من الجهل — مثل عبرى

الجهل هو ليل العقل ،

لكنه بدون قمر ولما نجوم ☾ — مثل صيني

الذي لم يبين منزلا يظن

أن الجدران خرجت من الأرض ☾ — مثل أستوني

الجهل هو أم كل الشرور ☾ — مثل فرنسي

الجهل العميق هو الذي يولد

المعتقد الأعمى ☾ — مثل فرنسي

الذي يعترف بجهله يظهره مرة واحدة

والذي لا يعترف به يظهره عدة مرات ☾ مثل ياباني